كلمة عن علم الله في الكتاب المقدس والإيمان المسيحي

أعداد :
يوسف طانيوس

باسم الآب والإبن والروح القدس الهٍ واحد
آمين

إذا كان الله عالم لكل شئ لماذا يظهر الله في الكتاب المقدس بمظهر الجاهل بالشئ و يسال عن هذا الشئ وكأنه مثل الإنسان علمه محدود ؟

إن الله تبارك إسمه العليم، العالم، العلام، يعلم بكل شيء تفصيلياً من الأزل و إلى الأبد. فهي صفةٌ ذاتيةٌ ثابتةٌ لله فهو يعلم قبل أن يكون الشئ موجوداً فعلمه حاضر دائماً ويدل على إحاطة علمهُ بكل شيء آياتٌ كثيرةً جداً من الكتاب المقدس و ما يظهر من الكلام الذي يدل علي إنه يتسأل فهذا هو **أسلوب علم الحالي الواقعي الذي يدور حوله الكلام** سواءً كان عقاب أو كلام علي أن الله قريب لمَن يدعوه ، فالله تبارك إسمه لا يؤاخذ الناس إلا على ما فعلوا في الواقع، لا على ما يعلم أنهم سيفعلونه. لأنه لو وافقنا علي مَن قال أن الله تبارك اسمه يجهل بعض الأشياء فهل هذا يعني أن علم الله للغيب يكون إلى ما لا نهاية؟ أم أن علم الله للغيب لفترة محددة كألف سنة للأمام فقط ، ولا يعلم ما بعدها ، فإذا انقضت الألف سنة فهل يعلم ما بعد تلك السنوات ومَن أعلمهُ ؟ ***أم أنه يعلم من الأزل كل شيء سوف يحصل ، وهذا يعني عِلْمًا إلى ما لا نهاية ؟ وهذا هو الصواب . وَ بالاستنتاج***

الْعَقْلِيُّ عَلَى صِفَةِ الْعِلْمِ لله فَهُوَ أَنَّهُ تَعَالَى لَوْ لَمْ يَكُنْ عَالِمًا لَكَانَ جَاهِلًا وَالْجَهْلُ نَقْصٌ وَاللَّهُ مُنَزَّهٌ عَنِ النَّقْص.

و يشمل علمه أفعاله مثل الخلق وأفعال المخلوقات بالكليات والجزئيات، يعلم ما يقع ، وما سيقع ، فعلم الله تبارك اسمه واسع شامل محيط ، لا يستثنى منه شيء . و عن معرفة كيفية صفات الرب ، فإن الخلق لا يحيطون به علماً ، فعليهم أن يؤمن بالصفة ، ويدعو التفكر في كيفيتها ، فلذلك ليس لنا أن نعلم هذا ، وإنما علمه إلى الله تبارك اسمه .

و لا يَتَّصِفُ بِعِلْمٍ حَادِثٍ لِأَنَّهُ لَوْ جَازَ اتِّصَافُهُ بِالْحَوَادِثِ لَانْتَفَى عَنْهُ الْقِدَمُ الأزلي لِأَنَّ مَا كَانَ مَحَلًّا لِلْحَوَادِثِ لا بُدَّ أَنْ يَكُونَ حَادِثًا.

و يمكن أن نقسم علم الله بنسبة لنا إلي ثلاث مراحل للتعرف عليه عمله لذاته وعلمه المعرفي و علمه الإستحالة :

فالذات : مثل علمه بذاته وتثليث أقانيمه وصفات الكمال الغير مشترك بها معه أحد فيها.

والمعرفي : ما أخبر الله به من خلال الوحي في الكتاب المقدس عن المخلوقات من أفعال وأقوال السابقين و ما أشار إليه في أثناء تجسد ونوعيه البشر .

والمستحيل : و هو ما لا يقبله الله بأنه يكون معه أحد يُشاركه أحد في ربوبيته و إلوهيته . فبهذه التدرج لنفهم أن الْعِلْمُ صِفَةٌ أَزَلِيَّةٌ أَبَدِيَّةٌ ثَابِتَةٌ لِلَّهِ تبارك اسمه وَاللَّهُ تبارك اسمه لَيْسَ جَوْهَرًا يَحُلُّ بِهِ الْعَرَضُ، فَعِلْمُنَا عَرَضٌ يَحُلُّ بِأَجْسَامِنَا وَيَسْتَحِيلُ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ تبارك اسمه وَاللَّهُ المبارك يَعْلَمُ بِعِلْمِهِ الأَزَلِيِّ كُلَّ شَيْءٍ، يَعْلَمُ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ وَمَا لا يَكُونُ، وَلا يَقْبَلُ عِلْمُهُ الزِّيَادَةَ وَلا النُّقْصَانَ فَهُوَ القدوس المُحِيطٌ عِلْمًا بِالْكَائِنَاتِ الَّتِي تَحْدُثُ إِلَى مَا لا نِهَايَةَ لَهُ، حَتَّى مَا يَحْدُثُ فِي الحياة الابدية الَّتِي لا انْقِطَاعَ لَهَا يَعْلَمُ ذَلِكَ جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا. وَعِلْمُ اللهِ الصالح أَعَمُّ مِنَ الإِرَادَةِ وَالْقُدْرَةِ، فَالإِرَادَةُ وَالْقُدْرَةُ

تَتَعَلَّقَانِ بِالْمُمْكِنَاتِ الْعَقْلِيَّةِ أَمَّا عِلْمُهُ يَتَعَلَّقُ بِالْمُمْكِنَاتِ الْعَقْلِيَّةِ وَالْمُسْتَحِيلاتِ وَبِالْوَاجِبِ الْعَقْلِيِّ.

ولا للمقارنة بين العلم الإلهي ومعرفة النبي ببعض العلم الغيبي فَلَوْ كَانَ يَصِحُّ لِغَيْرِهِ الْعِلْمُ بِكُلِّ شَىْءٍ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ الكامل تَمَدُّحٌ بِوَصْفِهِ نَفْسَهُ بِالْعِلْمِ بِكُلِّ شَىْءٍ، فَمَنْ يَقُولُ إِنَّ الرَّسُولَ يَعْلَمُ بِكُلِّ شَىْءٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ جَعَلَ الرَّسُولَ مُسَاوِيًا لِلَّهِ فِي صِفَةِ الْعِلْمِ فَيَكُونُ كَمَنْ قَالَ الرَّسُولُ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ وَكَمَنْ قَالَ الرَّسُولُ مُرِيدٌ لِكُلِّ شَىْءٍ سَوَاءٌ قَالَ هَذَا الْقَائِلُ إِنَّ الرَّسُولَ عَالِمٌ بِكُلِّ شَىْءٍ بِإِعْلامِ اللهِ لَهُ أَوْ لا فَلا مَخْلَصَ لَهُ مِنَ السقوط في الابتداع الغير مستقيم . وما ينطبق علي الرسول او النبي ينطبق علي الملائكة لأنهم وأن كانوا مُكرميين من البشر إلا انهم مخلوقين لا يتساونّ مع الله.

فإذ كان الله عالم بالكليات فكيف يحاسب الإنسان إذاً :

لا نقدر أن نقول بأن الإنسان مُجبر علي فعل شئ من الله.

فالله تبارك اسمه متَّصفٌ بالعدلِ والحكمة، فلا يُمكنُ أن يصدر عن الله ظلمٌ أو عبثيَّة، وكلُّ ما أراده الله تعالى فهو العدلُ المطلق، وكلُّ ما اراده ففيه الحكمة البَالغة ، وهو متصفٌ بالعلم المُطلق، بالتالي فإن الله الخالق للخلق لا يمكنُ انفصالُ علم اللهِ عن خلقه، فما دامَ أنَّه خالقُ الكون فإنَّه بالضَّرورة سيكونُ عالِمًا بما خَلَق فكلُّ مَخلوقٍ لا بُدَّ وأنَّ الله قد علِم كل ما يتعلَّق به، والإنسانُ وأفعالُه لا يمكنُ أن تخرج عن هذهِ الكلِّية، إذ إنَّهُ جزءٌ من الكونِ المخلوق المدبَّر، فنَعرف مِن هَذا أنَّ الله يعلَمُ ما سيفعلُه الإنسان ضرورةً؛ وذلك لأنَّه من جُملة الأَحداث، ومع هذا اعطي الله حرية الاختيار و بإرادة الانسان يختار ما هو خيرٍ له او شر وهذا نجده معروف في كتب الاباء

باسلوب الطريقين أي طريق الخير وطريق الشر . ونجد هذا برزاً جداً في سفر التثنية من الكتاب المقدس وغير هذا فإنه هناك الشريعة الأدبية الغير مكتوبة وهو الضمير وتأنيبه للإنسان حينما يفعل شراً أو الشعور بالرضا حينما يفعل خيراً.

إذاً فهو مبني على أصلٍ وجودي ضروري حسِّي، فالله المُسبح من قِبَل الكل قد أعطى كلَّ إنسان حريَّة وإرادةً واختيارًا، والإنسانُ يشعرُ شعورًا اضطراريًّا بأنَّه حرٌّ مختارٌ مُريد، فمن جلس يمكنه أن يقومَ، ويمكنه أن يضطجع، ويمكنه أن يستمرَّ جالسًا، لا يشعُرُ من نفسِه أنَّه مجبرٌ على فعلِ واحدٍ من هذه الخيارات، ومتى ما أرادَ الإنسانُ أن يُحرِّكَ يدَهُ أو رأسَهُ فَعَلَ ذلكَ دونَ أن يشعر أنَّه مُجبرٌ على اختيارٍ محدَّد؛ ولذلك تُقسم الحركات إلى حركاتٍ لا إراديَّة كالرّعشة والسُّقوط المفاجئ وغيرها، وإلى حركاتٍ إرادية كالأكل والشُّرب والمشي والقراءَة وغيرها، والإنسان يُمدحُ ويُذمُّ على أفعاله الإرادية، بل لا تترتَّب الآثار القانونية إلَّا على النَّوع الثَّاني، ولو ساوى الناس بين النوعين لبطُلت قوانينُ التَّحاكم البشري .

فإن كل ما يفعله العبد بعد ذلك ليس جبرًا من الله لأنه متعلق بإرادته واختياره، وأحسانه وعقابه على أفعالِ العبد ليسَ منافيًا للعدل الإلهي؛ لأنه مبنيٌّ على علمِه . فالإنسان هو الذي اختار طريق الضلالة او الهداية في حياته وقد علمَ اللهُ باختياره ، فقدر له ذلك .

فلو شبهنا هذا الحال :

بمعلمًا عَلِمَ من خلالِ تدريسِه أنَّ فلانًا سينجحُ بتقدير: ممتاز، والآخر سينجَحُ بتقدير: جيِّد جدًا، و الثالث سيرسُب، ثمَّ كتب ذلك في ورقةٍ عنده،

ثمَّ ظهرت نتائج الثلاثة على ما كتبه المعلم، فهل يحقُّ للطلاب أن يعترضوا بأن تلك الكتابة كانت إجبارًا لهم على حصول ذلكَ التقدير؟! وهل يحقُّ للطالب الراسب أن يحتجَّ على معلِّمه بأنه لو لم يكتب ذلك لما رسب؟!

يُدرك الجميع أن هذه الكتابة ليس جبرًا لأحد، وإنما هي مبنية على علم، وهو علمٌ قاصرٌ محدود، فكيف بعِلمِ الله الذي يعلم السر وأخفى؟!

فكما أن كتابة هذا المعلم ليست جبرًا لأحدٍ من الطُّلاب، فكذلك كلام الله في الكتاب المقدس بأن هذا في جهنم وهذا في الملكوت فأن هذا علي سبيل الاعلان المُستقبلي و ليست جبرًا لأحد، فالله قد أعطى الإنسانَ عقلًا وإدراكًا، ثم بيَّن له الخير والشر، والنافع من الضَّار، فيدرك الأنفع منهما بما وهبه من عقلٍ وإدراك، ثم وهبَهُ الله اختيارًا وإرادةً يستطيع بهما أن يسلك أحد الطريقين والله لا يسر بموت الخاطئ مثل ما يرجع ويَحْيي.